

تعليم التعليم العالي العربي

محمد عارف

2016-10-10

ميناء MENA، هي الحروف الأولى من عبارة "الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" بالإنجليزية، وهي كما يقول الكاتب الأميركي الهزلي مارك توين "الأسماء ليست كما تبدو عادة!". كذلك الأمر مع ندوة "ميناء" حول "التحولات الجذرية في التعليم العالي" التي عُقدت صيف هذا العام في الجزائر، وشاركت في تنظيمها "وزارة التعليم العالي والبحث العلمي" الجزائرية، و"البنك الدولي"، و"مركز التكامل المتوسطي"، ومكتب "اليونسكو" الإقليمي في بيروت، وساهم فيها ممثلو 113 جامعة ومؤسسة تعليم عالٍ عربية وأجنبية.

"مفارقة التعليم العالي في (ميناء)" عنوان بحث قدّمه في الندوة "شانتا ديفارجان"، كبير اقتصاديي البنك الدولي في "ميناء"، وأعلن فيه فشل نظام مجانية التعليم الجامعي في البلدان العربية، وحقله مسؤولية بلوغ التعليم العالي العربي أدنى مستوى في العالم، وتفاقم مشكلة البطالة التي تبلغ 40% بين خريجي الجامعات. وذكر أن فرض أجور على التعليم الجامعي يجعل الجامعات تتنافس فيما بينها، والطلبة يفكرون بمردود المبالغ التي يدفعونها.

مفارقة انعقاد الندوة في الجزائر أن التعليم العالي يعادل في الأهمية الثورة الجزائرية التي انتزعت البلد من بين أنياب المستعمر الفرنسي. فالجزائر الأولى عربياً في عدد الجامعات، وفي عدد طلاب جامعاتها الذي تضاعف ثلاث مرات منذ عام 2000، ويزيد عددهم حالياً على المليون، وفي العام الماضي زار 2500 أستاذ وباحث جزائري جامعات 64 بلداً، وزار الجزائر 5 آلاف أكاديمي أجنبي، وعقدت جامعات الجزائر 1500 اتفاق مع الجامعات الأجنبية. ذكر ذلك طاهر حجار، وزير التعليم العالي والبحث العلمي الجزائري، وأكدّ تمسك البلد بجمانية التعليم العالي المنصوص عليها في الدستور. وإذا كان التعليم العالي العربي بحاجة إلى التعلم، فأول ما يحتاجه هو ألا يأخذ بتعاليم "البنك الدولي". وكلمة «ديفارجان» قطرة ماء تسقط على صخرة تستعر، حسب متحدث فلسطيني في الندوة. فهي تخلو من أي ذكر لأهم أسباب تدني جودة التعليم العالي في منطقة "ميناء"

• أولها تدمير حروب الاحتلال الإسرائيلي، والفرنسي، والبريطاني، والأميري.. الهياكل الارتكازية للتعليم في فلسطين، والعراق، وسوريا، والجزائر، وليبيا،

• ثانياً نهب الأدمغة والكفاءات العربية. والافتقار إلى الإحصاءات حول أعداد الأطباء الجزائريين "المنهوبين"، قد تعوض عنه معرفة النوعية، فـ«إلياس زرهوني» خريج كلية الطب في الجزائر شغل 6 سنوات منصب مدير "معهد الصحة القومي" في الولايات المتحدة، حيث أشرف على أكبر موازنة للأبحاث العلمية في العالم، تزيد على سبعة مليارات دولار سنوياً.

و "أميركا أكبر سارق للأطباء في العالم، تعقبها بريطانيا، وكندا، وأستراليا"، حسب تقرير "نيويورك تايمز"، والذي ذكر أن ربع أطباء أميركا درسوا الطب في الخارج، وتصطادهم الولايات المتحدة بمرتبات تبلغ نحو ربع مليون دولار سنوياً، فيما لا تزيد مرتباتهم السنوية على 24 ألف دولار في بلدانهم. وسرقة أطباء البلدان الأخرى غير محرمة، بل تنظمها قوانين تعطي الولايات حق منح الإقامة للأطباء الأجانب الذين يوافقون على الخدمة في المناطق التي تفتقر إلى الأطباء. ولن تتوقف أميركا عن السرقة لأنها تحتاج خلال العقد الحالي إلى نحو ربع مليون طبيب، حسب "مجلس تجهيزات الأطباء والممرضين" في الولايات المتحدة.

غياب هذه القضايا الجذرية عن ندوة "التحولات الجذرية في التعليم العالي"، يجعلنا ندرك ما قاله عالم الاقتصاد جوزيف ستيغليتز، الذي نال بعد طرده من منصبه كنائب لرئيس «البنك الدولي»، جائزة «نوبل» عام 2001: "أنا على قناعة الآن بأن البلدان الصناعية المتقدمة لا تكفي من خلال منظمات مثل البنك الدولي بألا تفعل كل ما تستطيع لمساعدة البلدان النامية، بل تجعل حياة هذه البلدان أصعب".

لمزيد من القراءة:

- [مفارقة التعليم العالي في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، شانتا ديفاراجان.](#)
- [المصدر](#)

بريد الكاتب الإلكتروني: maref21@yahoo.co.uk